

## ذَلِكَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

إن الحمد لله، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قَالَ الرَّجَالِيُّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: 102].

قَالَ الرَّجَالِيُّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاءُ: 1].

قَالَ الرَّجَالِيُّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْحَجَرَاتُ: 70-71].

وبعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد  
ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة  
ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،

فإلى كل من آمن بالله تعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم  
أجمعين.

وإلى كل من يبحث عن حقيقة الإيمان الصحيح.

وإلى كل من غفل عن الحق، ووقع في شُرْك<sup>(1)</sup> الباطل، ونشأ في  
سرابيل المعتقدات الفاسدة.

إليكم هذه القصة التي أخطأ في سردها الكثير عبر القرون بين  
مُفَرِّط في حقها، ومُفَرِّط في تصورها.

ألا وهي قصة عيسى ﷺ والضلالة واليهالة.

(1) الشُّرْك: حياثل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير، واحدته: «شُرْكَة» وجمعها  
شُرُك، «اللسان» باب الشين مادة شرك.

الذي فرط اليهود في حقه فكفروا بنبوته وقذفوا أمه بالزنى .  
 وأفرط النصارى في حقيقته فرفعوه فوق بشريته .  
 حتى جاء القرآن الكريم فبين حقيقة المسيح ووضعه في مكانه  
 اللائق به، فنزهه أن يكون من سفاح، بل هو رسولٌ كريم ونبى  
 عظيم .

### وليس هو إله كما يُزعم

وليس له من صفات الألوهية شيء، بل هو عبدٌ مخلوق مربوب  
 لله تعالى .

فتعالى معي أيها القارئ نتأمل معاً في قصة المسيح ﷺ .  
 فإن كنت مسلماً فبين يديك قصة نبي من أعظم الأنبياء تحوي  
 فوائد طيبة، ومنافع جمّة .

وإن كنت من عبّاد المسيح فبين يديك حقيقة واضحة اقرأها  
 بعين العدل والإنصاف ودع عنك العصبية العمياء، والتبعية  
 المذمومة .

## بدائتہ الحکایتہ:

تبدأ قصتنا في بني إسرائيل، تلك الأمة التي اصطفها الله تعالى لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة قرونًا متباعدة.

ولكنهم طال عليهم الأمد، وغرتهم الحياة الدنيا، وغرهم بالله الغرور، ونسو حظًا مما ذكروا به، ففسقوا عن طريق الإيمان وقست قلوبهم، وحرفوا ما بين أيديهم من التوراة.

وانتشرت بينهم الفرق الضالة والمعتقدات الباطلة، وامتلات نفوسهم بالمادية حتى أصبحوا لا يُصدقون إلا الأمور الحسية؛ فأنكروا البعث والقيامة.

وشاع بينهم الربا، وأكل السحت، والفحش، والزنا... إلى غير ذلك من أصناف الذنوب وألوان الخطايا.

وبلغ من قسوة قلوبهم وكفرهم بآيات الله تعالى أنهم كانوا يقتلون النبيين بغير الحق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

وكان بنو إسرائيل لا تنقطع فيهم النبوة إلا أنهم كانوا لا يذعنون لوحي الله تعالى، ولا يصدقون بآياته ومعجزاته التي يجريها على أيدي أنبيائه.

فأرسل الله جل وعلا يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ على صفة غير مألوفة لعادة البشر ومغايرة لقوانين التناسل والتكاثر.

فجاء يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أمٍ عاقر عجوز ووالد وهن عظمه من الكبر، لتكون هذه آية لملوك وأحبار وشعب بني إسرائيل على قدرة الملك وإرادة المهيمن على الحق والبعث لعلهم يتقون أو يُحَدِّثَ لَهُمْ ذِكْرًا.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي  
 غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ  
 مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: 38-40]، وفي إنجيل لوقا (1: 13-18): قال  
 له الملاك: «لا تخف يا زكريا لأن طلبتكم قد سُمعت وامراتك  
 أليصابات<sup>(1)</sup> ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا...»، فقال زكريا  
 للملاك: «كيف أعلم هذا، لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في  
 أيامها».

ولكن أفئدة يهود المتحجرة لم تحرك ساكناً أمام هذه الآية  
 العظيمة بل ازدادت طغياناً وجبروتاً.  
 فأرسل إليهم المسيح عليه الصلاة والسلام آية أعظم من التي  
 جاء بها يحيى حيث خلقه الله من أم بلا أب.

(1) هذه اسم زوجة يوحنا كما ورد في الإنجيل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 33]، فكان عمران صاحب صلاة بني إسرائيل لصلاحه وورعه وتقواه.

وكانت زوجة عمران لا تلد فرأت يوماً طائرًا يزق فرخاً له فاشتتهت الولد فنذرت لله تعالى إن حملت لتجعلنّ ولدها محرراً، أي حبساً في بيت المقدس لخدمته، فحاضت من فورها، فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم ثم مات عنها عمران وهي في حملها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [التكوير: 36]، أي ليس الذكر في خدمة بيت المقدس كالأنثى، إذ الذكر أقوى على العمل وتحمل المشاق من الأنثى.

ولأنه كان من عادتهم أن الذكور للندور، والبنات لخدمة البيوتات<sup>(1)</sup> ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، ومريم أي العابدة في لغتهم

(1) يجوز نذر الأنثى (لاوين 27: 1-7).

الناسكة في لسانهم ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾، أي دعت ربهما جل وعلا أن يحفظ مريم وذريتها من مس الشيطان، فاستجاب الله جل وعلا لها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها»<sup>(1)</sup>، وفي رواية: «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم»<sup>(2)</sup>.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [الزُّكْرَانُ: 37].  
تقبل الله تعالى من أم مريم نذرها قبولاً حسناً مباركاً فحفظها، وتولاها، وأصلح شأنها، واجتباها.

واختار لها نبياً من أنبيائه ليقوم على تربيتها وتهذيبها، ثم أتت أم مريم بمريم إلى بيت المقدس بعد رضاعها وكفالة مثلها فسلمتها

(1) أخرجه البخاري في «الفتح» أحاديث الأنبياء، ومسلم في «الفضائل».

(2) أخرجه مسلم في «الفضائل بنحوه»

لعباد المسجد، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها وتنافسوا على تربيتها.

وكان زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي هذا الزمان فأراد أن يفوز بتربيتها، ويجوز ثواب كفالتها، وكان زوج خالتها.

ولكن أهل المسجد رفضوا ذلك وسألوه أن يقترع معهم فوافق عَلَيْهِ السَّلَامُ على طلبهم.

قال ابن كثير: فقال زكريا: «ادفعوها إليّ فإن خالتها تحتي» فقالوا: «لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها».

وروي عن بعض السلف: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن، واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت، ويقال إنه ذهب صُعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونببهم عليه الصلاة والسلام.. (1).

(1) قال ابن كثير: إنه ورد عن عكرمة والسدي وقتادة والربيع وغير واحد.

فكانت مشيئة الله تعالى أن يكون الكافل لمريم والمربي لها نبي من أنبياءه ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ال عمران: 44]، فتولاها زكريا أحسن ولاية، ورعاها أحسن رعاية.

فنشأت صالحة عابدة قانتة لله جلَّ وعلا، لها محراب تتعبد لله به لا يدخل عليها هذا المحراب سوى زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

واجتهدت مريم في عبادة الله جلَّ وعلا، فلم يكن أحدٌ في هذا الزمان يُضاهيها في فنون العبادات وأنواع الطاعات .

حتى نالت أعلى درجات الولاية من الله جلَّ وعلا، وبدأت تظهر لها الكرامات والعلامات التي تدل على مكانتها العالية عند الله جلَّ وعلا .

فكان زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدخل عليها المحراب فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، والصيف في الشتاء<sup>(1)</sup> .

(1) ذكره ابن كثير عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا  
قَالَ يَمْرَأَتُ أِنِّي لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ  
بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الْعَنَكَبُوتُ : 37].